مُقَدِّمَة

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

(العلق: ١-٥)

يأتي كتابي هذا في جزأين :

الجزء الأول يبين الإعجاز العلمي بالقرآن الكريم. هذا الوجه العلمي من الإعجاز الإلهي الذي حاولت أن أبينه على وجه سليم ، لأنه قائم علي آخر ما توصل إليه علمنا الطبيعي الحديث (علم التجارب المختبرية والمشاهدة والإستنتاج ، وليس علم النظريات العقلية القابلة للصواب والخطأ). هذا العلم قابل للزيادة والتقدم بخطي سريعة مع مرور الزمن ، ومواصلة الإكتشافات والبحوث المختبرية بصفة مستمرة إن شاء الله .

إن الإنسان يولد من بطن أمه طفلا جاهلا لا يعرف من العلم شيئا :

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨ ﴾

(النحل : ٧٨)

ثم مع مضي سنوات عمره وتعليمه يصبح عالما. ولكن علمه يظل قليلا وقاصرا عمَّا أنزله الله، سبحانه، بالقرآن الكريم. والدليل علي ذلك، أن ما من معلومة جديدة يصل الإنسان إلي إكتشافها، إلا ويتضح أن القرآن قد سبق وأشار إليها بالقول الصريح الفاصل... ! أليس هذا هو قمة الإعجاز العلمي الإلهي :

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ ﴾

(الذاريات: ٢٠، ٢١)

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

(فصلت : ٥٣)

إن العلماء (وخاصة علماء الطبيعة) أحق الناس بخشية الله، لأنهم توصلوا (ليس بعقولهم فقط، بل وأيضا بأبصارهم وأسماعهم عن طريق أجهزتهم وأبحاثهم) إلي القليل من أسرار تواجد السماوات وأجرامها، وكذلك مخلوقات الله المتباينة (مرئية أو غير مرئية بالعين المجردة) التي خلقت من أصل واحد هو ماء وتراب (السديم) : كالجماد والنبات والحيوان والحشرات والإنسان والجراثيم والميكروبات علي اختلاف أشكالها وأحجامها وألوانها. لذلك لا يتدبر هذا الصنع العجيب (ونشأته من أصل واحد) فيخشي خالقه، بل ويشكره علي نعمه علي بني آدم، إلا العالم ...

(فاطر: ٢٨) (الإسراء: ١٠٧) (الحج: ٥٤) (العنكبوت: ٤٩) (سباء: ٦) منها:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

(فاطر : ٢٨)

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

(الإسراء : ١٠٧)

إن الله في كتابه المجيد (القرآن) يحث، بل قل يحض، المسلمين علي مدي العصور والأزمنة، بقراءة القرآن **وتدبر** آياته الثابتة المعني. وكذلك **بالتفكر والإجتهاد** لكي يصلوا إلي، أو علي الأقل يستظهروا، معانيه المقصودة. وحتي يتعرفوا، إن أمكن، علي ما فيه من إعجاز ومعجزات، سواء كانت ترتكن علي المعرفة البشرية العلمية (من تعليم علي مختلف المستويات، ودراسات عليا

وأبحاث) أو علي عالم الغيب الذي لا يَعلمَه إلا الله سبحانه، أو ما يُعلِمُه من البشر المؤمنين والأنبياء والملائكة:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

(الإسراء : ٨٥)

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(الروم : ٥٥، ٥٦)

إذاً **فالإجتهاد** في فهم آيات القرآن الكريم نصيحة إلهية علي كل مسلم إلي يوم القيامة، بشرط أن يكون صاحب عقل صحيح وسليم، وبصر حاد وبالتالي بعيد النظر، وبصيرة مستنيرة ونفاذة عمادها الثقافة العلمية العالية .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

(النساء : ٨٢)

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾

(ص : ٢٩)

وكما قال رسول الله، عن أبي هريرة عن عمرو بن العاص :

[إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذ ا إجتهد فأخطأ كان له أجر]
صدق رسول الله

البخارى ومسلم

لهذا السبب أضفنا ملحقاً إلى هذا الكتاب (الفصل الثالث) عن : إجتهادات من القرآن الكريم .

هذا ولقد حاولت تبسيط المعلومات والمصطلحات العلمية المتخصصة التي وردت بالكتاب تبسيطا مناسبا، وبدون خلل، للقارئ العادي غير المتخصص لكي يتفهمها ويتابع ما جاء بها.

أما الجزء الثانى فهو يأتى فى الصحف الأولى،أى فى شريعة التوحيد، التى آوحاها الله لأنبيائه لدعوة البشر"آدم وبنيه" إلي عبادة الله الواحد الأحد، وأثرها في أم الدنيا أي مصر أو الأرض (كما ترجم إسمها القرآن الكريم وذكره خمس مرات صراحة، وأن أرضها مباركة، وأن شعبها مبارك، وأن من دخلها كان آمنا :

فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾

(يوسف : ٩٩)

هذه الدعوة التي حلَّت بوادي نهر النيل العظيم لأول مرة مع نبي الله "**شيث**" ابن آدم (عن التوراة) ثم مع حفيد حفيد حفيد آدم "**إدريس**" الصديق (عن القرآن). ثم مع إثنين من بني نوح الثلاثة، وهما "**حام**" أولا ثم "**سام**" ثانيا (عن القرآن) . وكان ذلك في عصور ما قبل التاريخ (أو الأسرات بمصر القديمة) أي في **عصور الأساطير** .

في هذا الزمن اعترت مصر عصور من التألق والأزدهار والقوة، وذلك بفضل تعاون أبنائها الوطنيين وترابطهم وسمو أخلاقهم، بالإضافة إلي تأثير الهجرات الآسيوية المتعاقبة من بني نوح، أي الحاميين ثم الساميين .

بعد ذلك سجل تاريخ مصر القديم ما جاء بخصوص هذه الشريعة علي لسان أنبياء الله ورسله، قبل نزول الكتب السماوية. فأرسل الله الدعوة مع

"إبراهيم" الخليل و"**لوط**" (ابن هاران أخو إبراهيم) عندما زارا مصر في عهد **الأسرة الثانية عشر** (حوالي عام ١٨٧١ ق.م.) **بالإمبراطورية المصرية الأولي** (عام ٢١٤٣ – ١٧٧٨ق.م.). ثم مع "**يوسف**" الصديق (إبن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم) حوالي عام ١٧٢٥ ق.م.، أثناء حكم الهكسوس لمصر (حوالي عام ١٧٣٠ – ١٥٦٧ ق.م.) وبعد سقوط الإمبراطورية الأولي، حيث كانت مصر فى قاع مظلم من الإضمحلال والضعف وفساد الذمم. وأخيرا وبعد التغلّب والإنتصار علي هذه الكبوة، وبعد طرد الهكسوس من مصر بدأت الدولة الفرعونية العظيمة التي عُرفت بالإمبراطورية المصرية الثانية (حوالي عام ١٥٧٠ – ١٠٨٠ ق.م.). وفي منتصف هذه الإمبراطورية جاء "إخناتون" (ملك مصر أمنحتب الرابع) وهو الإسم اللامع بين المفكرين والفلاسفة، لأنه يعتبر الداعية الأول، الذي ذكره التاريخ المكتوب، إلي وحدانية الإله. جاء معلنا ثورته الدينية في قوم ترسخت فيهم عقيدة تعدد الآلهة (حوالي عام ١٣٧٠ ق.م.). وكانت "**ماعت**" وتعني الحقيقة أو **العدالة** هي أساس هذا الدين الجديد. حدث كل هذا قبل نزول الكتب السماوية، والتي كان أولها "**التوراة**" علي "**موسي**" بمصر في حوالي عام ١٢٦٣ ق.م.، ثم "**الزبور**" علي نبي الله "**داود**"، ثم نزل "**الإنجيل**" علي "**المسيح عيسي ابن مريم**"، وأخيرا "**القرآن**" الكريم علي "**محمد**" .

يلاحظ أن الله، سبحانه وتعالي، الرحيم الصبور، كان يُرسل النبي أو الرسول لبني الإنسان علي فترات متباعدة، وبعد أن يكونوا قد نسوا تعاليمه ونصائحه، بل وبعد ارتداد معظمهم وإشراكهم به. وذلك لكي يذكرهم بشريعة الحق والعدل، والصدق، والرحمة، والتسامح، وبالإيمان به وبفعل الخير والعمل الصالح قبل الموت. ثم البعث بعد الموت للحساب، أي جني الثواب أو العقاب، تمهيدا للحياة الآخرة :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (القصص : ٥٩)

اللهم يا مُنَــزِّل الفرقان، ألهمني الصواب وأعصمني مــن الخطــأ، وأنــر بصيرتي، وسدد خطاى علي الصراط المستقيم. يامن له وحده الفضل كله، ومنه وبه الإستعانة والتوفيق .

أ. د. **عبد المحسن العبادي**

دكتوراه في الكيمياء العضوية العلاجية

كلية الصيدلة – جامعة لندن – بريطانيا